

جامعة تكريت

كلية الاداب / قسم الاعلام

### محاضرات مادة الصحافة العربية والدولية للمرحلة الثالثة

اعداد : أ.م.د. سعد سلمان عبد الله

#### المحاضرة رقم (٢٢) : الصحافة الاستقصائية

من الأنواع الحديثة للصحافة الدولية ما يعرف بالصحافة الاستقصائية التي من بين وظائفها المهمة مكافحة ظاهرة الفساد المستشري في بلدان العالم، والتي يمكن تعريفها بأنها : صحافة التقصي أو الاستقصاء أو العمق هي مصطلح عمره يزيد على نصف قرن في دول العالم المتقدم، وتحديداً في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وهي تعني: (سبر أغوار الظواهر المجتمعية المختلفة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، ومحاولة الوصول إلى عمقها عن طريق الاستبيات أو دراسة البيانات المتوفرة أو التحقيقات الجنائية أو الحسابية ، ابتغاء تجلية حقيقتها أمام الرأي العام وصناع القرار، أياً كانت هذه الحقيقة، وأياً كان مَنْ يوافقها أو يجافئها). وتتبع أهمية الصحافة الاستقصائية من الوظيفة التي تؤديها، فهي تعد جزءاً من العمل الرقابي التخصصي ، والذي من الممكن ان يصنع رأي عام بين الجمهور خاصة اذا تبنته بعض الجهات السياسية ووسائل الاعلام. كذلك فان الصحافة الدولية تعد أداة لأرشفة جرائم وفضائح وفساد الساسة والمسؤولين، ويقال في الغرب: (أن للصحافة الاستقصائية قدرة لا تضاهي على ربط مسؤولين بجرائم معينة) لاسيما ان الصحافة الاستقصائية هي أداة للوصول للحقيقة (من مصدرها الأصيل)، والوقوف على صدقها من آذنها، تضخيمها من تحجيمها، أداة تعمق فهم الحدث، وهي بوابة مهمة لشروع أجهزة الدولة في فتح التحقيقات في جرائم المال والأدارة. وتمثل الصحافة الاستقصائية اليوم صحافة العمق، وهي الصحافة الحية الناجحة المؤثرة مستقبلاً، وهي ضرورة لنهوض صحافة مؤسساتنا الإعلامية تحديداً، وهي مبرر لوجودها. ومن بين النماذج المهمة للصحافة الاستقصائية في العالم العربي يمكن ذكر التحقيق

الصحفي الاستقصائي للأديب الصحفي (إحسان عبد القدوس) عام ١٩٤٩ والذي فجر فيه فضيحة الأسلحة الفاسدة التي تم تزويد الجيش المصري بها في مواجهته مع الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨ . وقد عدها البعض من أسباب التئام تنظيم الضباط الأحرار، وإرهابات التغيير في مصر عام ١٩٥٢ . اما النموذج الغربي للصحافة الاستقصائية فيمكن ان نذكر استقالة الرئيس الأمريكي نيكسون من منصب الرئاسة في عام ١٩٧٤ على إثر فضيحة ووترجيت التي فجرها الصحفي الشهير (بوب وود ورد)، في جريدة (الواشنطن بوست) والتحقيق الاستقصائي للصحفي الأمريكي (سيمور هيرش) والذي فضح فيها تفاصيل مذبة (ماي لاي) في فيتنام عام ١٩٦٩ ، والتي كشف فيها النقاب للمرة الأولى عن الترسانة النووية الصهيونية التي كانت سرّاً غامضاً لعشرات السنين في كتابه (الخيار شمشون) في عام ١٩٩١ ، إضافة إلى إسهامه في كشف وقائع تعذيب المسجونين العراقيين في سجن (أبو غريب) .

ومن خلال تقرير منظمة الشفافية الدولية في مقدمته للتقرير العالمي للفساد لعام ٢٠٠٣ نستطيع ان نلمس بوضوح دور ووظائف الصحافة الدولية في معالجة ظاهرة الفساد حيث لم يعد الفاسدون يجدون أماكن للاختباء ، وان الفاسدين يفرون ويختبئون من الصحفيين وكاشفي أعمال الفساد الشجعان . ان حرية الاطلاع على المعلومات لا تكفي ، فحتى لو كانت المعلومات تتميز بالدقة والانحراف ، فان الفساد سوف يستشري بغياب مراقبة سهر وسائل الإعلام والصحفيين المحققين وكاشفي أعمال الفساد .

ان المعالجة الصحفية لظاهرة الفساد تساعد على تعزيز الشفافية في أعمال المنظمات والأجهزة الحكومية وتعميق الوعي لدى المواطنين ومنظمات المجتمع المدني بشأن عمليات اتخاذ القرار وانتهاج السياسات ذات الأثر في الوضع الاقتصادي ، والهدف من ذلك هو خلق قوى ضاغطة محلية أو دولية لتحسين اداء الحكم وترشيد السياسات والكشف عن الفساد ثم محاربته . ويبدو ان دور الصحافة في معالجة ظاهرة الفساد يختلف من مجتمع الى آخر ، وقد حدد الباحثون في هذا المجال خمسة معايير أساسية يتوقف عليها دور الإعلام في مكافحة الفساد هي : نوعية الصحافة ، والبيئة القانونية والتنظيمية لوسائل الإعلام ، وتعددية مصادر

الأنباء ، والدعم المادي للإعلام ، وأخيراً تنمية جمعيات لها علاقة بوسائل الإعلام ومنظمات غير حكومية واتحادات .

ان هذه الأوجه الخمسة لوسائل الإعلام تساهم في تحديد قدرتها على القيام بدورها في مكافحة الفساد . كما ان قدرة وسائل الاعلام المادية يمكنها من تحرير صحافه مستقلة ، والانفاق على تقارير لاستقصاء المعلومات . وتستطيع المنظمات غير الحكومية تلك التي تتمتع بحرية الرأي من دعم وسائل الإعلام الجريئة والصحفيين الذين يكافحون الفساد ، أما بالنسبة لتعددية مصادر الأنباء فهي تعني ان المواطنين لديهم امكانية الحصول على وجهات نظر متعددة ، وان أحد المصادر لايهيمن على الأخرى .

واذا حاولنا معرفة دور الصحافة في معالجة ظاهرة الفساد ، نجد انها تمارس أدوراً معروفة مثل تقديم المعلومات التي تساعد على اتخاذ القرار والتثقيف والتسلية وتنشيط الأدوار في المجتمع ، بالإضافة الى انها جهاز رصد وإنذار مبكر وسريع لأي خلل ، ويتمثل ذلك في :

١- مراقبة السلطة التنفيذية وقراراتها : التي تؤثر على ملايين المواطنين .

٢- المحاسبة والتدقيق : ويبرز ذلك في التفتيش على الدفاتر القديمة والخطط التي لم تنفذ الوعود التي أطلقت جزافاً .

٣- مكافحة الفساد وكشف المنحرفين ومن يستغلون مناصبهم دون وجه حق .

٤- كشف سوء الإدارة .

٥- إثارة تحقيقات برلمانية وقضائية حول قضية معينة يدور حولها حديث مرتبط بالفساد .

٦- ردع الحكومة وكل من يملك سلطة .

٧- إعادة ترتيب الأولويات عند الكشف عن أخطاء معينة .

ولقد اهتمت العديد من دول العالم بسن التشريعات القانونية وتنظيم القواعد الأخلاقية التي تبرز دور الصحافة في مكافحة الفساد ، وقامت بعضها بالتوقيع على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية المعنية بهذا الغرض ، وقد أشارت كل من منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة ، والمجلس الاقتصادي الاجتماعي التابع للأمم المتحدة في هذا الصدد إلى إبراز دور الصحافة في حل المشاكل الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية ، والمساعدة على دعم احترام حقوق الإنسان ، وصيانة الأمن والسلم العالميين ، ويرى الكثير من الباحثين وجود علاقة بين تطبيق هذه الاتفاقيات ومنع انتشار الفساد .

تبدأ كتابة التقارير والتحقيقات الاستقصائية برائحة قصة تفوح من مكان ما أو حدس يشير الى موضوع بشكل بذرة لقصة . أما الامر المهم في هذه المرحلة فهو التفكير بعناية حول النتيجة في أفضل الحالات ، وهل القصة تستحق الجهد المبذول والوقت المطلوب . فاذا لم تكن تستحق النشر في صدر الصفحة الاولى فعلى الصحفي ان يتجاهل القصة . ويمكن للتحقيقات الصحفية الجيدة ان تتناول أي مجال من مجالات الحياة لكن هناك فئتين واسعتين تعدان بنتائج مثمرة على وجه خاص : الأنشطة والمنظمات التي تؤدي عملها في أماكن بعيدة عن أعين الجمهور ، والشخصيات والمؤسسات التي تظهر فجأة تحت الاضواء الكاشفة، لتبدو وكأنها أتت من المجهول وتنسج حولها بسرعة الحكايات والاساطير، انها الشخصيات والمؤسسات التي ليست لها خلفية على ما يبدو ، لكن في الحقيقة لها مثل هذه الخلفية، ومن المؤكد ان نعر فيها على قصة صحفية جيدة ومثيرة .

وقد تميزت الصحافة الاستقصائية بأداء دور مهم في هذا المجال ، فالصحافة الاستقصائية توصف بأنها عمل صحفي منظم ومتعمق يهتم بالبحث في أنشطة الحكومات والسياسيين ، ورجال الأعمال ، والأفراد الذين يعملون في أنشطة عامة ، ويعتمد هذا النوع من

الفنون الصحفية على ضرورة التعاون بين الصحفيين والمؤسسات العامة التي تهتم بتقديم خدمات للجماهير . وتتميز الصحافة الاستقصائية بأنها تنشر معلومات حول السلوك الخاطئ الذي يلحق الضرر بالمصلحة العامة ، وتستند على معلومات المراسلين وليست المعلومات التي ترد مكاتب التحرير ، ويشترط لنجاح هذا النوع من الصحافة ضرورة ان تتوفر لدى المراسلين أشكال مختلفة من الخبرة تمكنهم من إعداد تقارير إخبارية مدعومة بالوثائق ، ومن الضروري أيضا في عمليات تقصي الحقائق العمل على تحقيق التعاون بين المراسلين ورؤساء التحرير والمختصين القانونيين والمحللين الإحصائيين، وأمناء المكتبات والباحثين .

وليست الصحافة الاستقصائية تغطية عادية لخبر ما . وبعد مضي ما يقارب الأربعين عاماً على فضيحة وترغيت التي أنهت الحياة السياسية للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عام ١٩٧٤ ، ما زال الجمهور والصحفيون غير متفقين على الإجابات . وتشمل الصحافة الاستقصائية كشف أمور خفية للجمهور - أمور إما أخفاها عمداً شخص ذو منصب في السلطة، أو اختفت صدفة خلف زُكام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها . وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلمية. وتعتمد التغطية الإخبارية التقليدية، بصورة عامة وأحيانا كلياً، على مواد ومعلومات وقرّرها آخرون ( في الشرطة والحكومات والشركات العامة والخاصة... إلخ)، وتعتمد على جمع ردود فعل متعددة حيالها . وعلى العكس من ذلك، تعتمد التغطية الاستقصائية على مواد جُمعت أو استُقيت بمبادرة شخصية من الإعلامي. ولهذا فإنها تُسمّى أحياناً كثيرة « تغطية المشروع وتهدف التغطية الإخبارية التقليدية إلى خلق صورة موضوعية للعالم كما هو . أما التغطية الاستقصائية، فتستخدم بطريقة موضوعية، مواد ومعلومات حقيقية تتحول إلى حقائق يوافق أي مراقب عقلائي على أنها حقيقية.

والصحفي الاستقصائي هدف ذاتي غير موضوعي يتمثل برغبة في إصلاح العالم فمن المسؤولية أن نعرف الحقيقة كي يمكن تغيير العالم. خلافاً لما يحب بعض المحترفين قوله،

فالمصاحفة الاستقصائية ليست فقط صحافة تقليدية جيدة وحسنة التنفيذ . صحيح أن شكلي الصحافة هذين يركزان على أربعة عناصر هي :من وماذا وأين ومتى، ولكن العنصر الخامس للتعطية التقليدية لماذا ، يتحول إلى عنصر كيف في الاستقصاء .ولا يتم تطوير العناصر الأخرى كمياً فقط، بل ونوعياً أيضاً .من ليست مجرد اسم ولقب، بل وشخصية لها صفة وأسلوب مميزان .وليست متى فقط حاضر وقوع الأخبار، بل سياقاً تاريخياً للسرد .وليست ماذا مجرد حدث، بل ظاهرة لها أسباب ونتائج .وليست أين مجرد عنوان، بل موقعاً أو مكاناً تصبح فيه إمكانية وقوع أحداث أو أشياء معينة ممكنة أكثر أو أقل .هذه العناصر والتفاصيل تمنح الصحافة الاستقصائية، في أفضل أحوالها، ميزة فنيّة تُعزز أثرها العاطفي على المتلقي . باختصار، ورغم أن الإعلاميين قد يقومون بكلا النوعين :التغطية اليومية التقليدية والعمل الاستقصائي في مجرى مهنتهم، فإن النوعين يشملان أحياناً مهارات وعادات عمل وعمليات وأهدافاً مختلفة جداً .وهذه الاختلافات مفصّلة في الجدول التالي .ولكن يجب على القارئ أن لا يقرأ هذه الاختلافات على أنها تعارضات متناقضة .على العكس من ذلك، حين ينسجم عمل الصحفي بشكل أكبر مع الجانب الأيسر من الجدول، فذلك يعني أنه يقوم بتغطية تقليدية؛ وحين ينتقل عمله إلى وضع على يمين الجدول، يبدأ الإعلامي بالتصرف بأسلوب استقصائي .

**المصدر : أ.م.د سعد سلمان المشهداني : الصحافة العربية والدولية (المفهوم، الخصائص، المشاكل، النماذج، الاتجاهات) ، الامارات العربية المتحدة ، دار الكتاب الجامعي ، ٢٠١٤ .**